العقد الفريد

للأستاذ محمود أبو ريه

كتاب العقد أو العقد الفريد — لابن عبد ربه أشهر من أن ينبه عليه ، أو ينوه به ، فهو من كتب الأدب المتعة بل هو موسوعة أدبية غزيرة ضمت بين صفحاتها مما يفيد الأديب ويُمتع الكاتب ، ويُبين المنشئ ما لا يوجد فى غيرها ؛ ففيها أدب وتاريخ ولغة وشعر وعروض ، وما إلى ذلك مما لم يُجمع مثله فى كتاب .

ولو رأينا أن نجمل الكلام فى هذا الكتاب لقلنا : إن ابن عبد ربه قد حشد فيه خلاصة ما جمع من قبله ، كالجاحظ والمبرد وأبى عبيدة والأصمعى والكلبى وابن قتيبة ، وغيرهم مما يطول القول بذكرهم .

وهو لم يقف فى مختاراته عند ما وقف غيره ممن سبقه ، على ما عُرف عن العرب ولا على ما أثر عنهم من أدب ، بل نقل مما ترجم إلى العربية عن الهندية واليونانية والفارسية ، وقد قال هو عن كتابه :

« وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من مُتخير جواهر الآداب ، ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب ، وإنما لى تأليف الأخبار وفضل الاختيار وحسن الاختصار وفرش فى صدر كل كتاب ؛ وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء ، واختيار الكلام أصعب من تأليفه . وقد قالوا : اختيار الرجل وافد عقله . فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعانى وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال ؛ ثم قرنت كل جنس إلى جنسه ، فجعلته باباً على حدته .. وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهراً وأظهرها رونقاً وألطفها معنى وأجزلها لفظاً ، وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة ، آخذاً بقبول الله تبارك وتعالى :

(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)(١) .

مؤلف الكتاب :

أما مؤلف الكتاب فهو : أبو عمر أحمد بن عبد ربه ولد سنة ٢٤٦ هـ ونشأ بقرطبة وتوفى سنة ٣٢٨ هـ

وقد قال فيه ياقوت « .. وكانت له بالعلم جلالة ، وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانة وصيانة » وقال الفتح بن خاقان « إنه حجة الأدب وإن له شعراً انتهى منتهاه ، وتجاوز سماك الإحسان وسهاه » :

وقال ابن خلكان : « كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس .

وقال فيه ابن سعيد :

إمام أهل أدب المائة الرابعة وفرسان شعرائها فى المغرب كله » ولقد كان فوق ثقافته العالية فى الأدب والتاريخ والفقه والتفسير والحديث ، له شغف بالموسيقى والغناء .

طبعات هذا الكتاب :

طبع هذا الكتاب أكثر من أربع طبعات أميرية وأهلية — وكلها — كما يقول الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك : « فى العيوب سواء — إذ ملئت بالتحريف والتصحيف والنقص والزيادة حتى كاد يكون شيئاً آخر »(٢) .

ولقد كان هذا الكتاب من الكتب التى قرأناها فى صدر شبابنا ، وذقنا من أغلاطه وتحريفاته مثل ما ذاق غيرنا . وكم كنا نتمنى — كما يتمنى سوانا — لو أن هذا الكتاب القيم قد خرج فى طبعة صحيحة منقحة كما خرج غيره من أمهات كتب الأدب مثل الكامل للمبرد الذى شرحه شيخ الأدب الشيخ سيد المرصفى رحمه الله ، وعيون الأخبار التى طبعته دار الكتب ،

(١) س ٣٩ ج ١

(٢) ص ل من تصدير الكتاب .

و كتاب الأغاني الذي لا يزال يطبع ! وغيرها .

وحوالي سنة ١٩٣٨ كنت في زيارة الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك في دار لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فكان من حديثي معه أن اللجنة التي يرأسها قد وجهت أكثر عنايتها — وكان هذا يومئذ أمرها — إلى التأليف والترجمة ، ولم تعن بالنشر ؛ ولو أنها حولت نصيباً من جهودها إلى النشر لكان ذلك خيراً للناس ولها . وبخاصة فإن النشر من صميم عملها .

ومما ذكرته لحضرته حينئذ ، وحبذا لو اهتمت اللجنة بطبع كتاب العقد الفريد على نفقتها ، فإنه لا يستطيع أحد أن ينشره صحيحاً غيرها ، فأجابني حفظه الله بأن اللجنة قد أخذت فعلا في نشر هذا الكتاب وأنها تعد العدة لذلك .

عمل اللجنة :

أما عمل اللجنة في طبع هذا الكتاب فإنا ندع القول في بيانه إلى الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك .

قال حضرته — بعد أن ذكر عمل الأستاذ محمد شفيع أستاذ العربية في جامع بنجاب الذي بذل مجهوداً كبيراً في العقد ، وأخرج جزءين كبيرين منه ، وأن اللجنة قد استفادت من عمل هذا الأستاذ فوائد عظيمة — « ثم ما نحن أولاء نحاول أن نخرج الكتاب إخراجاً علمياً — مصححين ما استطعنا — أغلاطه معارضين نسخه المختلفة بعضها على بعض مثبتين أهمها ذاكرين في حواشي الكتاب ما ورد في النسخ الأخرى مكملين ما نقص من عباراته مفسرين ما أبهم من كلماته ، شارحين ما غمض من مشكلاته ، ضابطين ألفاظه ، منحرين أصح الأقوال في نسبة المقطوعات الشعرية والنثرية والأخبار إلى أصحابها مبينين اختلاف الروايات في الشعر والنثر ، منبهين على أحسنها معنونين كل خبر وكل مقطوعة بعنوان خاص يدل عليه ويجمع ما فيه من الإيجاز وكان أول ما فعلنا أن كتبنا إلى الأستاذ ريتر المستشرق الألماني بالآستانة نرجوه أن يتحرى نسخ (العقد) في مكاتب الآستانة ليتبين خيرها وأصحها وأحسنها فكتب لنا وصفاً مطولا بالموجود من نسخ الكتاب ومزاياها وعيوبها ، وقد اخترنا خيرها — بناء على وصفه — ورجوناه أن يصورها لنا بالفوتوغراف ، ففعل مشكوراً ، وقد استعنا إلى جانب هذه النسخة بجميع نسخ العقد الموجودة في دار الكتب المصرية خطية ومطبوعة »(١) .

وبعد أن جمعت اللجنة من هذه النسخ نسخاً أخذت في طبع هذا الكتاب ، وكان ذلك في سنة ١٩٤٠ ، وقد ظهر منه إلى الآن خمسة أجزاء في حوالي ٢٧٠٠ صفحة من أكبر قطع وبقي على ما نظن جزء غير الفهارس .

هذا هو كتاب العقد في حالته البديعة التي أخرجته بها لجنة التأليف والترجمة والنشر ونشرته على الناس بتصحيح فائق ، وتنسيق رائق ، وطبع جميل وورق صقيل ليكون من كل طالب على حبل الذراع بعد أن ظل قروناً لا يجد من يعنى به أو يهتم بأمره على نفاسته وعظم شأنه وحاجة الناس إليه . وقد أصبحت هذه الطبعة التي خرجت اليوم بهذه الدقة وهذا الرواء ، هي التي يطمئن إليها قلب الأديب ويثق بها فكر الباحث ، وما سواها من كل ما طبع — ولا نستثني — إن هو إلا عمل (تجاري) لا يقصد منه إلا الربح المادي .

وإنا إذ نقدم اليوم إلى المتأدبين — في هذه الكلمة الموجزة — هذا الكتاب الممتع لا نحسب أنا قد وفيناه حقه من التعريف الكافي أو البيان الوافي ، لأن ذلك يدعو ولا ريب إلى إنشاء مقالات مستفيضة . فلندع هذا كله إلى الذين يقرأونه ويستمتعون بما فيه . ولعلنا نتبسط يوماً لنُري قراء الرسالة نماذج تبين الجهود العظيمة التي بذلت في سبيل تصحيح هذا الكتاب

ولا يسعنا إلا أن نزجي خالص الشكر إلى هذه اللجنة الموقرة في شخص رئيسها الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك ، على إخراج هذا الكتاب خاصة ، وعلى ما قدمت — وتقدم — كل يوم للعلم والأدب والتاريخ وللفن من أسفار جليلة وذخائر نفيسة تقرأ في كل عصر ويظل نفعها على وجه الدهر ...

(المنصورة) محمود أبو ريه

(١) من مقدمة الكتاب